تخطيط قلعة كركوك

دراسة آثرية ، عمارية ، ميدانية

أ.م.د. زيدان رشيد خان أودل البرادوستي

هوزان صلاح الدين محمد رؤوف

تخطيط قلعة كركوك
دراسة آثرية ، عمارية ، ميدانية

أ.م.د. زيدان رشيد خان أودل البرادوستي
هوزان صلاح الدين محمد رؤوف

المقدمة

يسلط البحث الضوء على قلعة كركوك ومبانيها الحضارية واطيافها السكانية، ان موقع مدينة كركوك ونواحيها وجغرافيتها وثرواتها الطبيعية لها اهمية بالغة محلياً وعالمياً، كما انها كانت وما تزال الطريق الرابط بين المناطق الجبلية والسهول والبوادي، وهي تقع في مسار الطرق التجارية القديمة والحديثة، ولا شك ان كركوك مدينة عريقة وموغلة في القدم، أذ يعود تاريخها إلى العصور القديمة، وتشهد قلعتها المنتصبة داخلها على ذلك، فهي من المدن التاريخية المهمة التي أنشأت خلال ازدهار حضارة وادي الرافدين.

أن أقدم ذكر لأسم هذه المدينة جاء في النصوص المسمارية، المذكورة باسم بلاد (أربخ) فضلا عن الاسماء ألاخرى في العصور الآشورية، اللولوبي، والكوتيوم، والاكد وكذلك في نصوص الدولة الميدية، إلخ، وقد شخصت (أربخ) بمدينة كركوك **(وهبي:ع ٣٤٤ /١٩٩٩، السنة الثامنة ؛ بوتيرو:١٩٩٠م، ص٨٩)**، وقد ادت دوراً كبيراً في نشوء الحضارة الإنسانية باسم (ميزوبوتاميا) التي أطلقت على الأراضي الواقعة نهري دجلة والفرات لأراضي التي شملتها الإمبراطورية الميدية **(سافرستيان:١٩٤٨م، ص ١٦؛ هنري: ١٩٢٦م، ص ١٣٥ ؛ زكي:١٩٦١م، ص ١٢٤)**، وكثر ذكرها في المراجع فيما بعد ومنها (آرابخا) في كتاب **(فاتحة انتشار المسيحية في امبراطورية الايرانيين) (جي. ب. اسمونس:د.ت، ص١٠٠؛ Gwilhilm : 1982 p10،)**.

وجاء فيه (إن قلعة كركوك المقدر عمرها بالآف السنين، تتكون اثارها بشكل دائري وعالية المباني، وذات أحياء وشوارع وأزقة وأبنية متنوعة في طُرُزِها واحجامها، ونشأت حول القلعة وعلى جانبي نهر (الخاصة صو)، وخلال القرون المتوالية ولاسيما في العصور الاسلامية، احياء سكنية كثيرة منها على سبيل المثال (مصلّى، بريادي، جُقُور، امام قاسم) شرقي

النهـر.. و (فوزيـه، صـاري كهيـه، نفطجلـر، تكريتللـر، قشـله، تسـن) فـي غربيّـه (**الانصاري:ع١٣٣٥٦/ ١٩٩٩**). وعليه فالتخطيط والعمارة ليست مجرد أشكال وتشكيلات معمارية، ولكنها تعد احدى الوظائف الفكرية ونمط الحكم، ولا يمكن أن تفهم أو تدرك إلا إذا نظر إليها من خلال واقعها أو خلفيتها الحضارية والسيكولوجية والرمزية (**العتيبي:٢٠٠١م، ص ١٩**).

ومع بروز ظاهرة التخطيط والاشكال الهندسية المتطورة، وتطور التخطيط في مختلف ميادينها، وباتت طرز التخطيط الفنية والمعمارية الإسلامية ومفرغة من مضامينها خلال مسيرتها التي فاقت نحو خمسة عشر قرناً من الزمان. وأصبحت مسرحا لتطبيق مدارس الفكر المعماري الأجنبية، فضلا عن طرح المحاولات المعمارية عليها في سبيل الوصول إلى مفهوم المعاصرة (**K. W. Smithies:1981.p4.**).

تخطيط قلعة كركوك

أولاَ: التسمية والموقع:

بنيت قلعة كركوك فوق قمة مرتفعة تتوسط المدينة، وتعد ثاني قلاع في المنطقة أولهما قلعة اربيل، ويبلغ ارتفاعها ٢٢ متراً، وتتميز بشكل إهليلجي، كانت يحيط بها نهر في الجهة الغربية، وما زالت الباقية، وكان السكان في حالة الحروب يدخلون إليها عن طريق مدخل أمامي ذي برج بشرفات دفاعية، ولكن الدخول الى قمة القلعة ليس سهلاَ، بحيث أخذ شكل التل العالي المرتفع في وسط المدينة (مركز المدينة) (شواني: ٢٠٠٥م، ١٣).

ثانياَ: تاريخ القلعة

بعد أن تمرد عليه القائد الميديي (ارياق)، والملك اَرياق قد استولى على (كريامي / باجرمي) الواقعة بين الزاب الصغير وشهرزور ومدينة كركوك. بعد أن أمر اوبلط ببناء قلعة حصينة في (كورا باجرمي) في مكانة قلعة كركوك الحالية. بعد أن جاء بألف من جنوده، وأسكنهم فيها. وذلك قاموا ببناء القلعة حصناً دفاعياً أمام هجوم الأعداء. وبعد عدة قرون دخل الإسكندر المقدوني ارابخا بعد أن انتصر على الملك الفارسي داريوس الثالث في معركة أربيلا (كوكميلا) عام ٣٣١ ق.م. (الحموي: ١/١٩٥٥م، ص١٣٨)، وقد مكث الإسكندر

عدة أيام في كركوك، زار خلالها قلعة كركوك قبل أن يعود إلى بابل ليتوفى فيها عام ٣٣٣ ق.م (رشيد و فوزي: ١٩٩٠م، ص١١٩؛ يوسف:١/ ١٩٩٩م، ص٦٨).

وبعد وفاة الإسكندر اقتسم قادته مملكته فكانت كركوك من نصيب القائد (سلوقس) الذي أسس فيما بعد الدولة السلوقية ٣١١ . ١٣١٩ ق.م. (البرادوستي:٢٠٠٧، ٨٤)، وتؤكد المصادر التاريخية أن القائد المذكور أقام على أنقاض المباني المهدمة قلعة حصينة مسورة بسور منيع عليه ٧٢ برجاً، وشيد لها بابين أطلق على الأول اسم باب (باب الملك)، وعلى الثاني اسم (باب طوطي) وهو اسم حاكم القلعة آنذاك. كما قام بتقسيم القلعة على مجموعة من الازقة (دراسة ميدانية). وقام كذلك بإسكان بعض العشائر حول سور المدينة فصارت تعرف المدينة منذ ذلك الحين باسم (كرخ سلوقس) أي (مدينة سلوقس). وهذه التسمية تابعة للآرامية وقد تسمى بـ(كرخاد – بيت سلوخ) (طاهر:١٠/١٩٩٩م، ٨٦ ؛ طاهر:١٩٨٣ م، ل ٤٠٢).

ان هذه المدينة التي خضعت تحت سيطرة الامارة الكوردية انقسمت على الدولتين العثمانية والفارسية بحسب المنطقة الحدودية مابين بلاد فارس و ولايات الدولة العثمانية (خضر :١/٢٠١٤م، ص ٢٢-٢٧ ؛ اثري:١٩٨١م، ص٥٦)، فكانت في لب الصراع، وفي الوقت نفسه وسيلة اتصال والتفاهم بين كلتا الدولتين، وقد أدت الغزوات العثمانية الصفوية إلى تقوية التحصينات الدفاعية وحماية كركوك وقلعتها، واستمر حكم الاسر الكوردية و الدولة العثمانية استمرت ثلاثة قرون واكثر، في ثلاثة مناطق اخرى بجوار مدينة كركوك وهما (داقوق – كفرى – كلار)، (كاكةيي:١٢٣/ ٢٠٠١م، ص٢٣ ؛ قادر:ع ٢/٢٠٠١ م، ص ١٨٧ ؛ اثري:١٩٨١م، ص ٧٠).

ولكن أقدم المنشآت الاسلامية الباقية لقلعة كركوك تعود الى العصرين العباسي(إبن الاثير:٦/١٩٨٧م، ص٥٠٧)حتى نهاية الحكم العثماني، وقد عُنيَ بها السلاطين والملوك وأمراء الأتابكة الذين حكموا مدينة كركوك ونواحيها، ومن هؤلاء السلطان مظفرالدين كوكبري (ابن المستوفي:١ / ١٩٨٠م. ص٣١٤ ؛ إبن الأثير: ٦/١٩٨٧م، ص ٥٠١) ، فقد زار كوكبري مدينة كركوك، وأهتم بجغرافية المنطقة ومن ضمنها بلدة داقوق (البرادوستي: ٢٠٠٧م، ص٨٥ ؛ عبدة :٢٠٠٢م، ص ٥١ ؛ سلمان واخرون: ١/١٩٨٢م، ص ١٨٧-

١٨٩)، وفي خلال هذه الحقبة قام السلطان مظفر الدين كوكبرى بإرسال الرسالة الى احد الخلفاء العباسيين، وفي متنها أشارة الى انه قام بسجن احد رجال المنطقة من نسب التركمانيين، بسبب عدم التزامه بقوانين الدولة الاتابكية، ولهذا السبب ألقيته في السجن، وقد ارسل السلطان كوكبرى للخليفة العباسي هذه الرسالة مع احد قادته (مجدالدين الشيباني) ووصلت الرسالة الى الخليفة العباسي، وقد احس الخليفة العباسي بأن السلطان مظفر الدين كوكبرى لم يلتزم بالتعاون والامور الإدارية مع الدولة العباسية، (حسين: ١٩٧٦م، ص ١٥٦)، وبعد ذلك تحولت ادارة القلعة داخل المنظومة السياسية والسلطوية لأتباع العثمانيين، و تعد قلعة كركوك إحدى المراكز العثمانية المهمة، ولها سور للدفاع عن المدينة في عصر الصراع الذي شهد الأحداث والتقلبات السياسية، وظل هذا السور باقياً طوال العصر العثماني.

ثالثاَ: التخطيط العام:

تعد قلعة كركوك من أهم المواقع الأثرية والتاريخية والمعمارية في العراق، وهي من أهم القلاع ذات شكل دائري، وتحتفظ بمعالمها الاثرية حتى يومنا هذا، وتتميز بهندستها العسكرية وقوة تحصيناتها الدفاعية، فهي تتميز ببنائها وزخارفها الرائعة وبجدرانها وأبراجها العالية، ودهاليزها وشقوق مرامي السهام وسلسلة من شرفاتها البارزة بحيث تحمل مزيجآ من الحضارات العراقية في فن العمارة.كما تتكون قلعة كركوك من الحارات السكنية، والدوائر الحكومية، والمساجد الدينية والكنائس تنسب تارخها الى الحقبة العثمانية، ومازالت بعض المباني الأثرية باقية من حيث التصاميم وعناصرها المعمارية والزخرفية. ومن الجدير بالذكر أن جميع الأبراج في هذه القلعة صلدة، رسم رقم (1) لتتحمل ثقل المدافع التي توضع في عرض جدار السور الاول، أذ تم الأستفادة من عرض الجدار لوضع المدافع على جدران الاحياء السكنية، وكذلك معظم الابراج والمعالم الشامخة قد استخدمها العساكر والجنود العثمانيون لاعداد وتحضير العدة العسكرية في أيام الحرب، وكانت تسمى بمنطقة طوبخانة، مثلما نجد مثل هذا الطراز المعماري في حي الطوبخانة التابع لقلعة اربيل. (وتشتمل القلعة على ثلاثة أحياء سكنية وهي: (حي الميدان وحي الاغالق وحي الحمام)، فضلا عن وجود عدد من الجوامع والكنائس والبيوت والقصور التراثية، ولاسيما وجود بعض من المقابر

والملحقات المعمارية التجارية والحمامات والمنافع الخدمية، وسوف نأتي ذكرها لاحقا. وتبلغ مساحة القلعة كاملة حوالي (200,000 متر مربع)، وارتفاعها (١٨ م)(جاف :١٩٩٨م، ص ٢٥؛ كلى: ٢٠٠١/٥م، ص١٧٨؛ محمد: ٢٠٠٦م، ص١٠٢؛ حبي: ٦/د.ت، ص ٤٢-٤٣)، الخارطة (١-٢) و مخطط (١).

رابعاَ: العناصر المعمارية:

١-الواجهة الخارجية لقلعة كركوك.

تعكس عمارة القلعة وبنيانها الذي وصلت إليه فنون العمارة العسكرية من خلال طريقة عمارتها، وبأشكال أبراجها الدائرية، والمدخل الرئيس الذي يحتوي على مدخل متعرج والأعمدة العريضة في السور الاول الذي يجعل الجدار متماسكاً، فضلا عن الاحجار المترابطة في السور الضخم، واستخدام الممر الخارجي المكشوف، بحيث يسمح للمدافعين ضرب المهاجمين الذين يتمكنون من كسر خط الدفاع الأول. اللوحة (١). ويؤدي الطريق المباشر إلى المدخل الرئيس، ونجد المزاغل (الحنايا) المتعددة لرمي السهام والأبواب من الصفائح الخشبية التي تؤلف عنصراً زخرفياً ذا طابع جمالي، والمدخل ينحرف بزاوية قائمة ليؤدي الى المدخل وضلعا الزاوية، ويتالف من جدارين مجهزين بالسقاطات، ومرامي السهام التي تسمح بالفضاء على العدو المهاجم، كما تمنعهم من استخدام الأداة القديمة في تحطيم الأبواب "الكبش"، وهذا النوع من المداخل يسمى المداخل المنكسرة (الباشورة)، وهي المداخل التي يرجع فضل ابتكارها الى العمارة العراقية القديمة كما هي الحال في مدينة الحضر وبعدها بغداد. وتوجد بعض الحنايا الكبيرة يشكل منها إيوان، وعلى جانبيه حجرتان، اللوحة (١) ويتقدمهما في معظم الأحيان رواق خارج السور يفتح على المدينة بثلاثة او أربعة مداخل حنية كبيرة الشكل وهو ما سمي بالطراز الحيري، رسم رقم (٢) اللوحة (١). ونجد مجموعة من الاعمدة والعقود في المنشآت المدنية كالقصر الفخم، وقاعة الاستقبال في البيوت والقصور والمجاميع الدينية والمقابر الاثرية والتراثية، خارطة (١-٢).

٢-المداخل :-

بنيت قلعة كركوك على مساحة دائرية، ولها مدخلان في الجهتين الجنوبية على أرتفاع (٩،٠٠م) والشمالية الغربية على أرتفاع (٤،٦٠م)، ويتم الوصول الى المدخلين عن طريق

السلم (الدرج)، ويبلغ عرضهما بـ(٢،٨٥م). أما بالنسبة لمداخل القلعة فلها اربعة أبواب، اثنان في الجهة الشرقية، واثنان في الجهة الغربية، واحدى هذه الابواب قد سماها اهل القلعة من جهة الغربية (بطوب قابو)، رسم (رقم ١) وهي إحدى ركائز الدخول البوابات الأربعة الرئيسة، اللوحة (١) ويطل على نهر (الخاصة صو)، (روذبة ياني: ٢٠٠٦م، ل ٥١) وهي والبوابة الثانية في نفس الجهة، ويعود تاريخ بناءها إلى أكثر من ١٥٠ سنة، (الاثري: ١٩٨١، ص ٨٦ ؛ روذبة ياني: ٢٠٠١/٥م، ل ٤٩)، و تسمى بباب (طاش قابو) وهي في الجهة الغربية كذلك، وتتميزهذه البوابة بعقودها المدببة الشكل النصف الدائري وقبوها شبه البيضوي وهي مبنية من الجص والحجر. أما البوابتان الثانيتان الواقعتان في الجهة الشرقية، رسم (رقم٢) هي عبارة عن مدخل المزور، واحدا منهما يسمى بباب (يدي قزلر)، وهي تقع في الجهة الشرقية للقلعة، وقد اعيد بنائها بعد عام ٢٠٠٣. أما (الباب الرابع)، وهو عبارة عن مدخل من الحجر غير المهندم، واهالى المنطقة فقد سماها ايام العثمانيين بباب (حلوجيلر) (روذبة ياني: 2001/5م، ل ٥١)، وهي الواقعة في الجهة الشرقية بالقرب من جوت قهوة. ولكنا نجد تسميتان جديدتان لابواب ومداخل القلعة حاليا، فالموجود في الجهة الجنوبية الغربية من القلعة، تاريخه يرجع الى بداية الحكم العثماني، وقد تم افتتاحهم في بداية القرن الماضي، و أطلق على الأول (باب الملك)، وعلى الثاني ب (باب طوطي) (روذبة ياني: 2001/5م، ل ٥١). وتسمية باب طوطي تنسب الى اسم حاكم القلعة آنذاك و إلى جانب وجود بوابة في الجهة السفلى الشمالية الغربية(عبدالرزاق: ١٩٧٣م، ل٧١).اما تسمية باب الملكي وانها تنسب الى الرجال والشيوخ والاكابر من الطبقة المالكة، وهذه تم تثبيتها باسم (الباب الملكي)، الواقعة في الجهة الشمالية، ويصعد إلى الأجزاء العليا للقلعة على ممر ترابي حتى يصل الى باب القلعة، اللوحة(٢) وكان مخصصاً لمشاة العربات العسكرية والبضائع المستوردة، وطريقا رئيسياً للقوافل والخيول والعربات، لسهولة الصعود إلى القلعة بسبب عرض الطريق. اللوحة (٢).

أما العناصر المعمارية التى نراها في جدران هذا السور وهي مجموعة من النوافذ والبهو (البلكونة)، والمظهر الخارجي يدل على روعة البناء ودقة عمله، وعقودها نصف دائرية والاعمدة ذات قاعدة مربعة مندمجة بجدران الأسوار الخارجية، رسم (١) و السور الذي تطل

منه القلعة على مدينة كركوك، يضم مدخل يتقدمه مدخل(مباشر)على الطراز العثماني في كلتا الجهتين الجنوبية و الغربية الشمالية. اللوحة (١). وعرف هذا الباب من ناحية المعمارية بمدخل منحرف، ويتم بوساطته الدخول إلى ألاقسام الرئيسية للقلعة بمدخل مستقيم ينفذ إلى زقاق لحارات القلعة عبر مجاز أو ايوان أو رواق طويل كما سبق ألاشارة إلى ذلك.اللوحة (١).

٣-الحنايا والعقود و النوافذ والشرفات للسور الاول :-

وتشتمل القلعة على سورين : الاول الذي يمثل أصل بناء القلعة بشكله الدائري، و بالنسبة لممرات الأسوار فما زالت باقية من حيث الطراز المعماري، والهدف من تشيدها الاحتفاظ بالمواقع والمباني الداخلية وثلاثة محلات سكنية الميدان – والقلعة (الاغالق) – والحمام، وثم حدثت العديد من أعمال التجديدات والاصلاحات للاسوار، ولكن بالنسبة للسور الثاني ليس له اية بقايا اثرية كاملة، بل نجد بعض من بقايا جدرانه في الجهة الجنوبية الغربية، و السور الاول، فهي تشتمل على مجموعة من النوافذ والبهو (المقاعد)، اما سمك ومقياس جدران السوار فأنها تتراوح بين (٧٠- ١٠٠ سم) وأرتفاعه بين(١٠-١٢م)، رسم (١-٢) ويشغل المقاعد في معظم جهات السور الدائري للقلعة.

فضلاً عن ذلك فالأرض التي أقيمت عليها القلعة، غير مستوية، ويدعم هذا السور مسنداً منحدراً نصف اسطواني الشكل، ويضيق من الأعلى لينتهي في منتصف الجدار السور، والغرض من إقامة هذه المساند وهو لدعم الجدار، وهي ذات ابراج مبنية من الحجر اللوحة (٢)، وتتوزع هذه المساند على بعض الجهات من السور، وتضم ثمانية مساند في كل الجوانب المستديرة، ويمتد على اطراف القلعة المستديرة مجموعة من النوافذ والشبابيك و المزاغل على شكل النافذة المكشوفة أو الصامتة، أو بشكل الشرفات على هيئة الدرابزين الآجرية والحجرية، و تفتح في أعلى قسم الجدران الخارجية و السور، وقد يسمى بدرابزين الحجرية، وتفيد في إدخال الضوء والهواء إلى حجرات البيوت في داخل القلعة أو تستخدم للدفاع عن القلعة من الحروب والهجمات الخارجية من السلطة العثمانية (Faroqhi:1984, p274)، اللوحة (٢). وبسب تهديدات التي تعرض لها القلعة، نجدها مقصودة لتدمير وانهيار من قبل الاعداء، كما ذكر ذلك في تاريخ قلعة اربيل (نورس:١٩٧٥ م، ص ٦٤ ؛

نورس: ١٩٨١، ص ٦٤ ؛ الجاوشلي: ١٩٨٥م. ص ٢٢؛ البدليسى:١٩٥٣م، ص ١٤ ؛ بكنعهام : ١٩٦٨/١م، ص ١٠٩ ؛ اولسن: ١٩٨٣م، ص٥٤ ؛ ولستن: ٢٠٠٨م، ص١٠٩ ؛ أدموندز: ١٩٧١م، ص ٧ ؛ ضابط: ١٩٦٦م، ص ٣٣-٣٤ ؛ S270- 276 (Üzuncarasili:1995.Creasy:1961.p57)، خارطة (٢-٣).

خامساً: القلعة من الداخل:

كما أقيمت منها دور للسكن والقيسارية، وهي أشبه ما تكون بمدينة صغيرة دائرية الشكل يحيط بها السور الأول للقلعة، وحالياً البيوت والقيسارية وضيفتها التجارية متوقفة رسم رقم (٣). كما كانت تضم القلعة المؤسسات الحكومية الجديدة فقط، ولكنه بعد زوال الحكم الملكي في العراق أخذت هذه الدوائر تنتقل تدريجيا إلى أسفل القلعة وخارجها، خارطة (٢-٣). ومن اهم احياء القلعة:

١- حي الميدان (القشلة) :

يقع هذا الحي في الجزء الشمالي من القلعة. يسمى بحي القشلة، وقد أطلق عليه القشلة، بسبب وجود دوائر الدولة في هذا الفضاء الهندسي في العهد العثماني، ثم استمرت هذه التسمية مع استمرارية تأسيس الدولة العراقية (القائمقامية) والمحاكم والمدارس ومعظم الدوائر الرسمية الأخرى التي كانت قائمة هناك، وكان الحي عبارة عن أزقة ضيقة (كوضة وكولان)، ومنها زقاق الأغوات وكان يسكن فيه وجهاء وأشراف وأغوات كركوك، (محمد: ٢٠٠٦، ص ١٠٢) ويقع فيه خان وقيسارية، ويعود تاريخ إنشائهما إلى العهد العثماني، كما توجد في هذا الحي دار وديوان، كما هو الحال في قلعة اربيل التي كانت تضم مجموعة من المباني التراثية في حي السراي (الميدان) تابعة للباشوات و للأغوات الكوردية المشاركة في السلطة العثمانية مثل رشيد اغا و الشيخ جميل أفندي فهما من وجهاء اربيل في حي السراي. خارطة رقم (١-٢).

٢- حي القلعة (الأغالق) :-

الاغالق وهي تسمية مشهورة عند اهل المنطقة يقع هذا الحي في وسط القلعة. وعرف بهذاالاسم القلعة، نسبة لوجود الإدارة العثمانية في قلعة كركوك، وقد اندثرت آثار بناية هذا الحي، وقد اطلق عليه الاكراد حي القلعة.(محمد: ٢٠٠٦م، ص ١٠٢). خارطة رقم (٢).

٣- حي الحمام :

يقع هذا الحي في الجهة الجنوبية من القلعة، وينقسم على قسمين أحدهما مخصص للمسلمين وألاخر للمسيحيين بسبب أختلاف العقيدة بينهما، واكتسب هذا الاسم لوجود حمامات الأغوات العثمانية، كما توجد مقرات عسكرية قريبة من المباني الخدمية للحمامات الموجودة في بطون القلعة، وملحقاتها الخدمية توزع حسب المنفعة الخدمية على غرار ما كان في قلعة اربيل حينذِاك، خارطة (١).

سادساَ: مادة البناء.

إهتم المعمار بتشييد البناء بعمارة القلعة والتحصينات الاستحكامية من الاسوار والثكنات العسكرية الخارجية التي تطل على المنطقة الخارجية للقلعة، الخارطة (٢) و رسم(١). اللوحة (٣). وبناء هذه القلعة محكم التنفيذ فقد شيدت من الحجر والآجر والطين الجص ومادة اللاصقة (النيرة) و القلعة أشبه ما تكون بمدينة صغيرة دائرية الشكل يحيط بها السور الأول للقلعة، وحالياً البيوت والأسواق خالية في كافة نواحيها. والمباني التراثية في القلعة مبنية من المواد المتوفرة في مدينة كركوك، وهي عبارة عن المادة الخام من الطين والاجر والحجر، وهذا هو سبب بنيان مبانيها بالطراز المعماري الهندسي الخاص بها.

أهم المباني الاثرية والتراثية في القلعة

١-الجوامع:

أ- جامع النبي دانيال: يعد هذا الجامع من أقدم وأشهر الجوامع في القلعة وهو ذو منارة شاخصة، ويعود تاريخه إلى أواخر العصر المغولي أو بداية العصر التيموري (أي بحدود القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي)، وقد بنيت مئذنة هذا الجامع بالطابوق، وهو بمثابة نقطة استدلال أذ يمكن مشاهدته من جميع أجزاء القلعة. وفي الجامع أقواس وعقود لا تزال قائمة وهي جالسة على قاعدة مثمنة، ويحتوي الجامع على مشهدين متجاورين ومصلى تطل على فناء مكشوف، وللجامع قيمة اجتماعية وروحية، فهو يحظى بزيارة الناس باستمرار، ولاسيما أيام السبت، ويعتقد عامة الناس أن النبي دانيال مدفون فيه، وبني الجامع على أنقاض أقواس بناية قديمة، خارطة (٣)، وسنتطرق الى ذلك لاحقاَ.(بةهرؤز :٢٠٠٨م، ل ١٠٥).

ب- عريان جامعى (جامع العريان): يقع هذا الجامع في منتصف القلعة، ويرجع تاريخ إنشائه إلى سنة ١١٤٢هـ- ١٧٤٥م، كما هو مكتوب على قطعة من الحجر المثبت على جدار مدخله. ويتميز بمحرابه المزيّن بزخارف نباتية وهندسية ملونة بألوان عديدة على شكل أزهار، بعد إزالة قسم من هذه الزخاف التي تبين أنها مجدّدة، أذ ظهرت تحتها زخارف نباتية، تعلوها كلمات آية قرآنية هي (وكفّلها زكريا كلّما دخل عليها زكريا المحراب) (آل عمران: ٣٧). أما منبر الجامع فقد بني بالجص والحجر وزخرفت جوانبه بزخرفة جصية تمثل أشكالاً هندسية منها نجوم سداسية يحيطها إطار من الرقش (التوريق). ويحتوي الجامع على قبتين مختلفتين في الحجم.(بةهرؤز : ٢٠٠٨م، ل ١٠٦).

ت- أولو جامع : يتألف من أربعة أروقة ترتكز على دعامات تتصل الواحدة بالأخرى بمنافذ معقودة على شكل أقواس نصف دائرية. ولم يبق منه سوى بعض الأقبية ذات الأقواس المدببة وبقايا المئذنة، وكان الاسم القديم لهذا الجامع يحمل اسم الأم مارية. خارطة (٣) (بةهرؤز :٢٠٠٨م، ل ١٠٦).

ث- مسجد وجامع حسن باكيز: وهو عبارة عن مرتفع من الانقاض الترابية.(بةهرؤز :٢٠٠٨م، ل ١٠٧).

٢-البيوت والقصور التراثية.

توجد في قلعة كركوك مجموعة من الدور التراثية ذات المواصفات النادرة إن لم تكن فريدة من نوعها، والتي هي نموذج للعديد من مثيلاتها، و تتكون من ثلاث وحدات سكنية متداخلة، الأولى ذات أعمدة مرمرية دقيقة، ومداخل غرفها ونوافذها مؤطرة بالمرمر، أما الوحدة الثانية فتتكون من (مجاز ومضيف ومخبأ وكوشك)، أما الوحدة الثالثة والتي تسمى (بيت الخدمية او المبيت) فتتكون من طارمة صغيرة وغرفة مستطيلة الشكل. وهذه الدور تتميز بعقودها وأقبيتها وزخارفها الجصية والهندسية، ولكل دار من الدور التراثية في القلعة مميزات خاصة بها، و تكاد لا تجدها في الدور الأخرى. خارطة (٢-٣) وسوف تأتي على ذكرها في الصفحات القادمة.

٣-گوك كومبت بغدة خاتون (القبة الزرقاء) :-

تقع هذه القبة في وسط القلعة، وهي مثمنة الشكل من الخارج ومربعة من الداخل ولها طراز معماري متميز مبني من الطابوق والنورة والجص. تزين جدران القبة زخارف آجرية نباتية وهندسية مطعّمة بالقاشاني الملون. خارطة (٣). وسوف نأتي على ذكرها في الصفحات القادمة.

٤-مدارس القلعة :-

كان في القلعة عدد كبير من المدارس الدينية التي يعود تاريخ بعض منها إلى العهد العثماني وما بعده. وقديماً كانت المساجد الإسلامية تتخذ لتدريس القرآن الكريم واللغة العربية وعلوم الدين إلى جانب بعض العلوم الدنيوية. وتأسست أول مدرسة لتعليم الدين الإسلامي الحنيف في القلعة بالجامع الكبير (اولو جامع) وكذلك في مقام نبي الله دانيال، و شيد فيه جامع ومدرسة أهلية دينية. وأدناه أسماء تلك المدارس.

أ- مدرسة الشاه غازي التي أسسها المتصرف غازي شاه سوار سنة ١٠٦٧هـ / ١٦٥٧ م في الجامع الكبير (اولو جامع).

ب-مدرسة الميدان التي أسسها المتصرف حسن باشا فرارى في جامع حسن باكيز ثم رممت سنة ١٢٠٥هـ . ١٧٩٠م بوساطة الحاج محمود آل زاده وقد انتقلت هذه العائلة التركمانية التي عرفت بالثراء وعمل الخيرات إلى بغداد وهي من العوائل التركمانية المعروفة في بغداد اليوم.

وهناك مدارس أهلية أسست في القلعة من الأهالي نذكر منها:

أ- مدرسة حاج سليمان أغا موقعها في محلة حمام وكان أسم المعلم السيد ملا محمد أفندي وعدد التلاميذ (١٢) تلميذا.

ب-مدرسة آل زاده موقعها في محلة ميدان وكان اسم المعلم السيد خضر افندي وعدد التلاميذ (١١) تلميذا .

ت-وفي عهد الحكومة العراقية تأسست في قلعة كركوك الأثرية مجموعة من المدارس النظامية وبإشراف وزارة المعارف العراقية.

٥-قيلجيلر بازاري (قيصرية القلعة) سوف ناتي على ذكرها في الصفحات القادمة.

ان القيساريات في المدن الاسلامية، ترتكز في المنطقة المحيطة بالمسجد الجامع، كما اصطفت على جانبي الشوارع الرئيسة من دون الطرق الخاصة، وقصد هذا التخطيط أنه يحصرالنشاط والحركة التجارية في شوارع عامة متسعة لحركة المرور، والحركة التجارية على جانبيها فيتحقق منع الاذى عن النساء اللاتي يرتدن غالباً هذه الاسواق وفي الوقت نفسه فان تراص الحوانيت في القيساريات لا يتسبب في اذى للوحدات السكنية نظرا لا تساع هذه الشوارع (عثمان:د.ت، ص٢٣١-٢٣٢).

٦-الحمامات :-

ارتبطت نشأة الحمامات العامة بتعاليم الدين الاسلامي الذي يحث على النظافةوالاستحمام ،وقد أدى الماء وتوفره في المدن الاسلامية دورا مهما في نشأة الحمامات العامة، ويعكس انشاء الحمامات في قلعة كركوك عن مدى الحاجة اليها وهذه الحماماتاما كانت عامة للسواد الاعظم من الناس ،أو حمامات خاصة بالأغنياء والاغوات، ويبدو ان عدم قدرة جميع سكان المدينة على انشاء حمامات خاصة في منازلهم هو لما يكلفه ذلك من تكاليف الانشاء والمساحة والتزود بالماء وتسخينه وكانالحل بإنشاء الحمامات العامة، وقد وصف ذلك احد الباحثين وبقوله" وقد لعب الحمام دورا مهما في الحياة الاجتماعية فتصور حكايات الف ليلة وليلة الحمام بانها الجنة الدنيوية وارتبط بالحمام كثير من المظاهر الاجتماعية الاعلامية فكان استحمام الشخص في الحمام بعد شفائه من مرضه اعلانا عن تمام الشفاء، وكثيرا ما لجأت الشخصيات الاجتماعية الى هذا لتسيير الأمور الاجتماعية" (عثمان:د.ت، ص٣٥٣-٣٥٤).

الخاتمة والتوصيات

أن تخطيط قلعة كركوك تميزت بتوافقها مع ظروف الموقع واستخدام مواد البناء المحلية المتوفرة في البيئة المحيطة، وأنها توافقت مع العوامل المناخية سواء كان ذلك على مستوى النسيج العمراني الذي جاء نسيجا متلاصقا والشوارع الضيقة والمتعرجة، أوعلى مستوى المسكن بانفتاح المسكن على الفناء الداخلي، كما ظهر التلائم مع المناخ من خلال

الانتقال إلى فراغات المسكن المختلفة سواء كان يوميا أو موسميا حسب حالة المناخ. كما خلص البحث إلى أن العمارة التراثية كانت متوافقة ومتلائمة مع العوامل الاجتماعية ومع عادات السكان التابعة من الدين الإسلامي.

و ختمت البحث بمجموعة من الملاحظات التي تتركز على المستجدات أو المتغيرات التي أثرت في القلعة، ثم انعكست بعد ذلك على عمارتها، وأدت إلى ايجاد عمارة جيدة من طراز خاص أذ يمكن القول بأن العمارة المعاصرة هدمت كل القيم والمفاهيم والمعايير التي كانت سائدة، واوجدت هوة واسعة بين الإنسان والمجتمع الذي يعيش فيه الحضري انذاك، كما نجد أن هذه القلعة تحتاج الى المحافظة على استمرارية التراث العمراني في عمارة القلعة المعاصرة والقديمة، فإنه يتطلب إعادة إحياء العناصر التراثية الصالحة لحل المشكلات العصرية الآنية، وذلك بأخذ رأي المستخدمين للمبنى، وهذا يعني أن تكون العمارة نتاج تفاعل الإنسان مع البيئة المحلية وذلك لتحقيق متطلبات المجتمع واحتياجاته.

من الصعب إجراء أعمال الترميم الإنشائى أو المعمارى أو التجديد الشاملة للمبنى التراثى بالأماكن الصغيرة الضيقة ولاسيما فى حالة وجود شاغلين لها، مما يعرقل العمليات الفنية التى تتطلب معدات وأعمال صب وتدعيم للمبنى، وضرورة إخلاء المبنى من شاغليه لإجراء الترميم حتى لا يشكل خطورة على حياة العامل والكوادر الاثارية المشرفة على المشروع اعادة اعمار القلعة.

وللمحافظة على استمرارية التراث المعماري المحلي في عمارة قلعة كركوك المعاصرة فإنه يلزم اتباع التوصيات الآتية:-

١. أن تكون لوسائل الاعلام دور بناء في زيادة الوعي لدى المجتمع الريفي بالقيم الموجودة في العمارة التراثية، والتركيز على أنها نابعة من المجتمع وتعبر عنه ويجب المحافظة عليها.
٢. الاهتمام بتدريس العمارة التراثية في أقسام العمارة، أذ يتعلم الطلاب أبعاد وتقنيات ومزايا المواد المحلية وكيفية الاستفادة من خبرات الاجداد، بحيث يتولد لدى المعماري الكفاءة والوعي بضرورة الاهتمام بالتراث.

٣. ضرورة أن تقوم اقسام العمارة والاثار من خلال الابحاث التي تتم بها بدراسة العمارة التراثية والتركيز على مفرداتها وكيفية تطويرها والاستفادة منها في العمارة المعاصرة(الجهات، الفتحات، الاضاءة، التهوية، ملاقف الهواء، طرق الإنشاء، مواد البناء).

٤. ضرورة إنشاء قاعدة بيانات تضم كافة المعلومات الخاصة بتوثيق العمارة التراثية على أن تكون هذه المعلومات متاحة لكل من يريد دراسة التراث العمراني لقلعة كركوك.

٥. إقامة متحف خاص يضم اللقى الأثرية في المنطقة.

٦. الاهتمام بالتوعية الاعلامية عن المنطقة،وإدراج الإرشاد السياحي وتوعية المواطنين بالمحافظة علي الآثار واللقى الأثرية.

٧. المواقع تحتاج للحماية من المسؤولين والتي تتمثل في الهيئة القومية للآثار والمتاحف ضد السرقات وأعمال النهب.

٨. السعي لإدراج تلك المواقع في قائمة اليونسكو وتطبيق إدارة المصادر في المواقع الأثرية في المنطقة.

٩. توثيق تقارير عن الأعمال الأثرية السابقة في المجلات والدوريات الشهرية.

١٠. ترميم المباني الطينية والحجرية المتمثلة في القلعة بوصفها الموقع الوحيد والمهم تاريخياً.

١١. تشجيع الطلاب على عمل الدراسات الاثارية في المنطقة والتي لم تطالها يد البحث والتنقيب بعد.

١٢. تسوير المواقع الأثرية للحفاظ عليها من دخول سائقي (التركترات) وأصحاب الدور الكبير بغية إحداث أضرار بالمواقع الأثرية وظهور بقايا الانسان.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر

١. القرآن الكريم : آل عمران.
٢. إبن الأثير: عزالدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠ هـ – ١٢٣٢ م)، الكامل في التاريخ، ج ٦، دار الكتب العلمية بيروت.
٣. ابن المستوفي: شرف الدين أبي البركات المبارك بن أحمد الأربلي (ت ٦٣٧– ١٢٣٩م) ١٩٨٠م ، تاريخ اربيل ، المسمى نباهة البلد الخامل بمن ورده من الامثال، تحقيق سامي بن سيد خماس القهار ، ج١ ، دار الرشيد.
٤. الحموي، الشيخ شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، ١٩٥٥م، معجم البلدان، دار صادر، بيروت.

قائمة المراجع الكوردية

٥. بةهرؤز: سمكو ، ٢٠٠٨ز، ميذووي هونةرى تةلارسازي ناوضةي كةركوك، ضاثخانةي خاك .
٦. روذبة ياني: زاهير،٢٠٠١ز، قةلاي كركوك ئةفسانة و ميَذوو ، مجلة هاوارى كركوك ، ع ٥.
٧. روذبةياني: جميل ، ٢٠٠٦ز، كةركوك / ناوى – ميذووي كوني – دانيشتواني – دةسةلاتةكاني، ضاثخانةي ئارابخا – كركوك ، ض ١ .
٨. شواني : فاتيح عبدالله، ٢٠٠٥ز، ثاريزطايي كةركوك ، ضاثخانةي ضرامان ، كركوك.
٩. كاكةيي: هاشم، ٢٠٠١ز، شارةزوور لة روانطةي سى بابةتي ميذوويي دا، طوظاري رؤشنبيري نوي ، ذ١٢٣.
١٠. كلى: نظام الدين، ٢٠٠١ز، كركوك دراسةيةكي طشتي، مجلة هاوار كركوك ، ذ٥،.
١١. محمد: علي محمود، ٢٠٠٦ز، كركوك شارى قةلاو ئاطر و خوين ، ض١ ، ضاثخانةي ارابخا.
١٢. يوسف: عبد الرقيب، ١٩٩٩ز، بةرطرى لة قةلاي كةركوك و هةندي زانيارى شوينةوارى نوى لة قةلا كةركوك دا، طؤظارى كةركوك ، ذمارة ١.

قائمة المراجع العربية

١٣. اثري: محمد بهجة ، ١٩٨١م، ذرائع العصبيات العنصرية في اثار الحروب وحملات نادر الشاه على العراق في رواية شاهد عيان ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، فصل الثاني من الكتب.
١٤. أدموندز: سي جي ، ١٩٧١م كورد و ترك و عرب ،(ت.جرجيس فتح الله)، مطبعة التايمس ، بغداد
١٥. الانصاري: رؤوف محمد، ١٩٩٩م، كركوك العراقية حاضنة قوميات ذات حضارات وثقافات متعددة، جريدة الحياة، العدد د١٣٣٥٦، السبت تشرين الأول (اكتوبر) .
١٦. اولسن: روبرت دبليو،١٩٨٣م حصار الموصل والعلاقات العثمانية الفارسية ١٧١٨-١٧٤٣م، (ت. عبدالرحمن بن الحاج امين بن الجليلي)، ط١، مطبعة دار العلوم للطباعة و النشر، الرياض .
١٧. البدليسى: شرفخان، ١٩٥٣، الشرفنامة (ت: ملا جميل روز بياني) مطبعةالنجاح، بغداد.
١٨. البرادوستي: زيدان رشيد خان أودل، المأذن الاتابكية في العراق (دراسة معمارية فنية ميدانية) رسالة ماجستير غير منشورة جامعة مؤتة ، الاردن البرادوستي:٢٠٠٧، ٨٥؛
١٩. بكنعهام: جيمس، ١٩٦٨.رحلتى إلى العراق سنة ١٨١٦ م ، (ت. سليم طه التكريتى)، ج١، بغداد.
٢٠. بوتيرو: جان، بلاد الرافدين: ١٩٩٠م، الكتابة العقل الآلهة، ترجمة البير ابونا، مراجعة الدكتور وليد الجادر، بغداد.
٢١. جاف: وريا جاف، ١٩٩٨، كركوك دراسة سياسية – اجتماعية ، اربيل.
٢٢. الجاوشلي: هادي رشيد، ١٩٨٥م،تراث أربيل التأريخي ، مطبوعات الأمانة العامة لإدارة الثقافة و الشباب، مطبعة جامعة الموصل .
٢٣. جي. ب. اسمونس(د.ت) فاتحة انتشار المسيحية في امبراطورية الايرانيين، استاذ الدراسات الإيرانية في ، نقله إلى العربية وعلق جرجيس فتح الله المحامي، مطبعة جامعة كوبنهاكن.

٢٤. حبي: يوسف،(د.ت)التواريخ السريانية مجلة المجمع العلمي العراقي هيئة اللغة السريانية، بغداد، مج ٦ .
٢٥. حسين: محسن محمد ، ١٩٧٦م، أربيل في العهد الاتابكي ، مطبعة الاسعد ، بغداد.
٢٦. خضر: اراس اسماعيل، العناصر المعمارية والنقوش الزخرفية غي العمائر العثمانية الباقية في اقليم كوردستان العراق خلال ١١٠٦-١٣٢٦هـ- ١٧٠٠-١٩٢٠م) اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ٢٠١٤م.
٢٧. رشيد: جمال و فوزي ،١٩٩٠، التاريخ الكورد القديم، ط١ اربيل.
٢٨. زكي: محمد أمين ، ١٩٦١م(خلاصة تأريخ الكورد وكوردستان) من أقدم العصور التأريخية حتى الأن ط٢ .
٢٩. سافرستيان: ارشاك، ١٩٤٨م، الكورد وكوردستان، مطبعة هارفيل،لندن.
٣٠. سلمان: عيسى ، ونجاة يونس ، ونجلة العزي ، وهناءعبد الخالق، ١٩٨٢م، العمارات العربية الاسلامية في العراق ، ج١ ، دار الرشيد بغداد.
٣١. ضابط: شاكر صابر،١٩٦٦م، العلاقات الدولية ومعاهدات بين العراق والإيران ،(د. م)، بغداد.
٣٢. طاهر: عبد المطلب ، ١٩٩٩م، كركوك في التاريخ ، مجلة شانيدةر ، ع ١٠ ، مطبعة دائرة الاثار، اربيل .
٣٣. طاهر: عبد المطلب، ١٩٨٣م، داقوقاء في التاريخ ، مجلة كركوك ، مطبعة المجمع العلمي العراقي.
٣٤. عبدالرزاق: عباس حسين: ١٩٧٣م، نشأة مدن العراق وتطورها ، مطبعة معهد البحوث والدراسات العربية، العراق.
٣٥. عبدة: عبدالله كامل موسى ٢٠٠٢، العباسيون وآثارهم المعمارية في العراق ومصر وافريقيا، دار الافاق العربية ط١ القاهرة .
٣٦. العتيبي: مرزوق هلال (٢٠٠١م)، عمارة وعمران مدينة مكة المكرمة "دراسة في جدلية المقدس والوضعي"، رسالة ماجستير، كلية الهندسة – جامعة القاهرة .

٣٧. عثمان: محمد عبد الستار،(د.ت) المدينة الاسلامية، دارالافاق العربية.
٣٨. قادر: جبار قادر، ٢٠٠١ م، السياسة الحكومية بحق الكرد في كركوك خلال العهد الملكي ١٩٢١-١٩٥٨م، مجلة كركوك ع ٢ .
٣٩. نورس: علاء موسى كاظم، ١٩٧٥م، حكم المماليك في العراق (١٧٥٠ – ١٨٣١ م) بغداد ، دار الحرية .
٤٠. نورس: علاء موسى كاظم، ١٩٧٩ م.العراق في العهد العثماني(١٧٠٠-١٨٠٠م) ، دار الحرية ، بغداد .
٤١. هنري: براستد جميس ،١٩٢٦ م، تاريخ العصور القديمة، ترجمة داود قربان بيروت.
٤٢. ولستن: ليونهارت، ٢٠٠٨ -١٤٢٨ هـ، رحلة المشرق (طرابلس – دمشق – حلب – الرقة – دير الزور –بغداد – عانة – الفلوجة – هيت –كركوك –أربيل) في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادى، ط١، مطبعة الدار العربية للموسوعات، بيروت.
٤٣. وهبي: توفيق، جريدة الاتحاد العدد ٣٤٤ الجمعة ١٢-١١-١٩٩٩ السنة الثامنة.

المراجع الاجنبية

44. Faroqhi: Suraya ،Towns abd townsemen of ottoman Anatolia ، Cambridge University Prees 1984.
45. Gwilhilm grunddzurge and kurtur der Hurriter ،Dramstadt 1982.
46. K. W. Smithies ،Principles of Design in Architecture.1981.
47. Üzuncarasili: Ismail Hakki ،Büyuk Ösmanli Trihi, ciltII،Ankara, 1995.

الملاحق

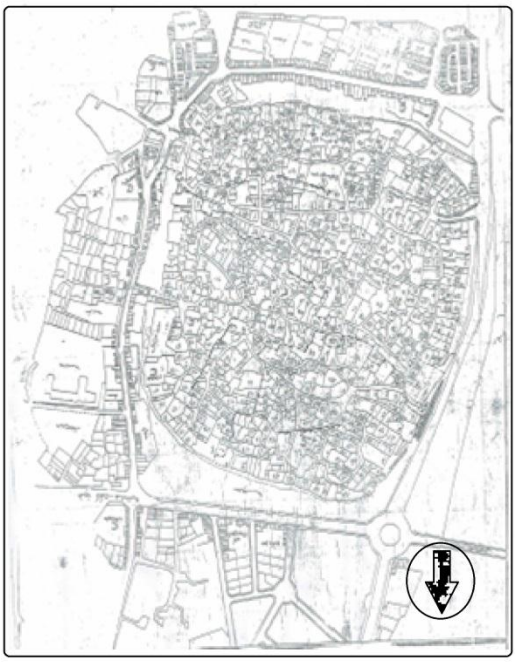

خارطة (١) قلعة كركوك – عن أرشيف دائرة آثار كركوك.

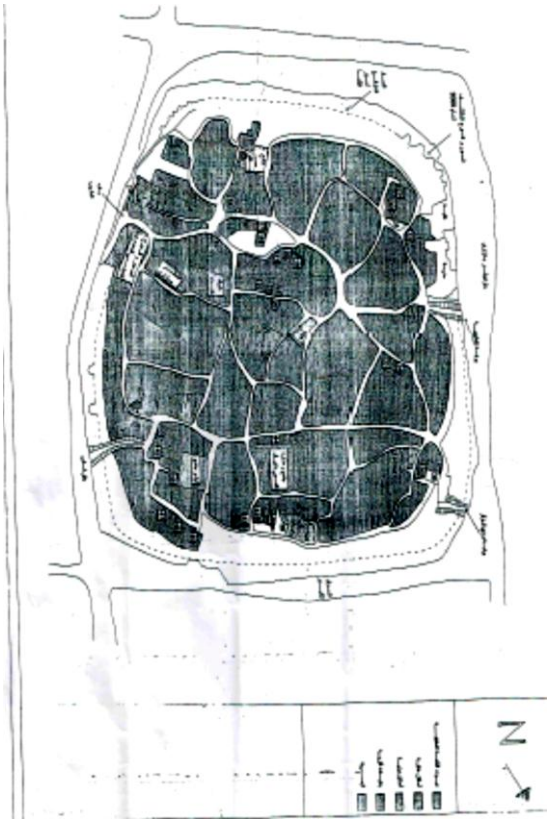

خارطة (٢) تخطيط وتقسيم المباني الاثرية والتراثية لقلعة كركوك. عن أرشيف مكتب دائرة اثار كركوك (كركوك)

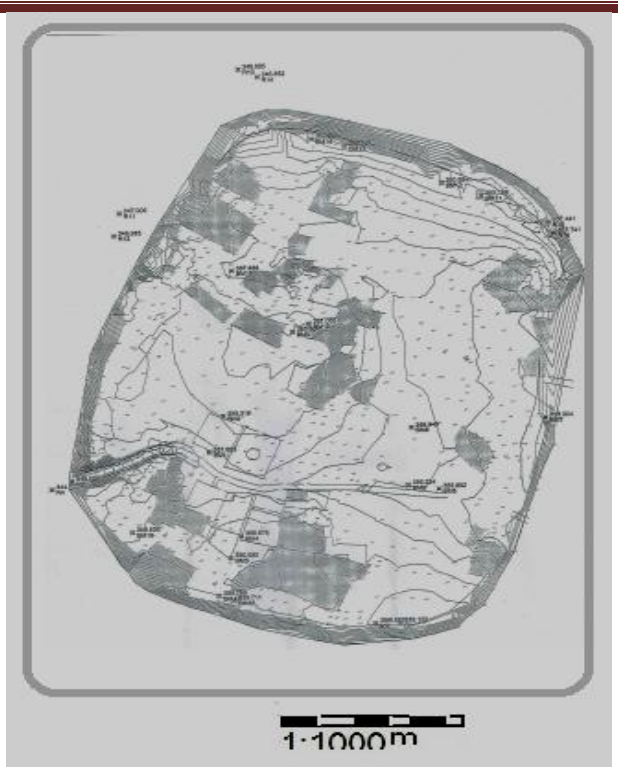

خارطة (٣) تخطيط طوبوغرافيا قلعة كركوك (عن دائرة اثار كركوك).

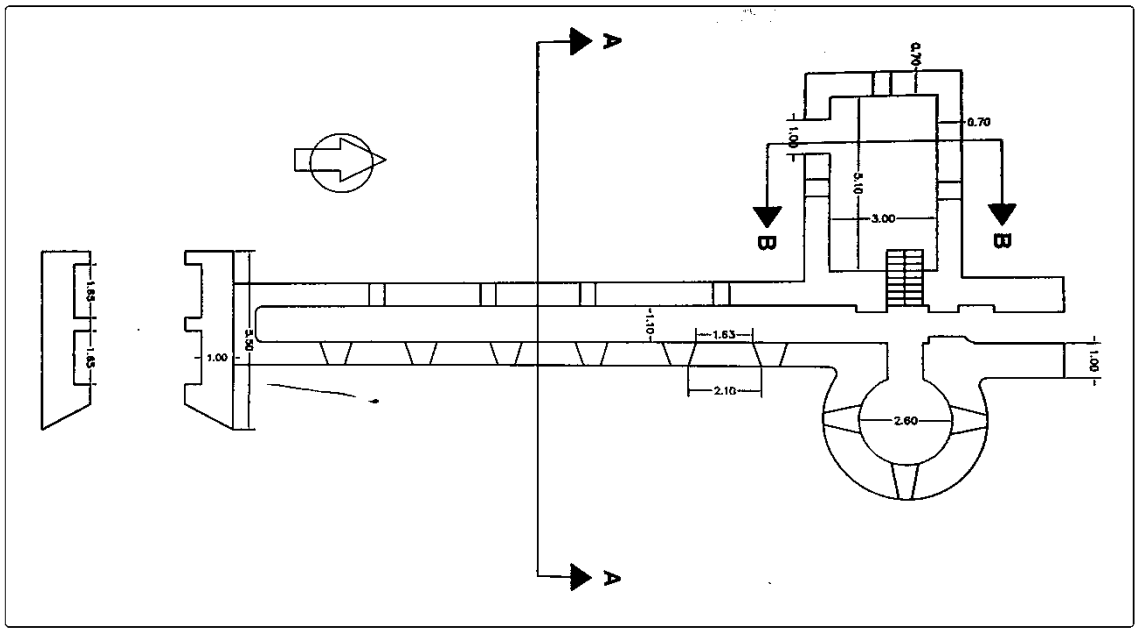

تخطيط (١) الاسوار والمداخل قلعة كركوك

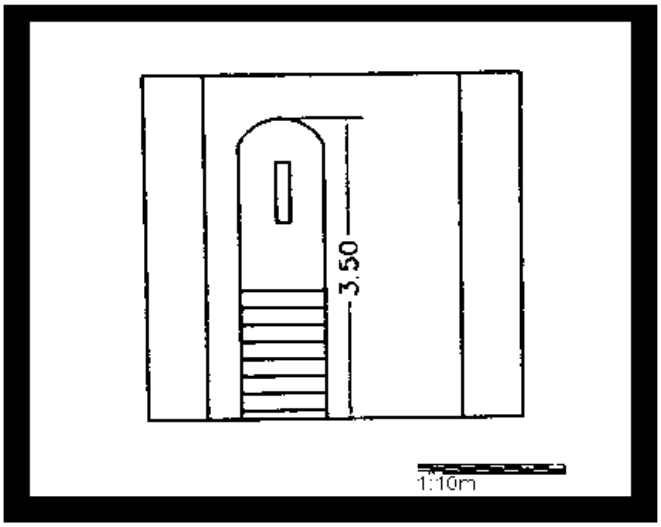

رسم(١) نقطة الابراج قلعة كركوك

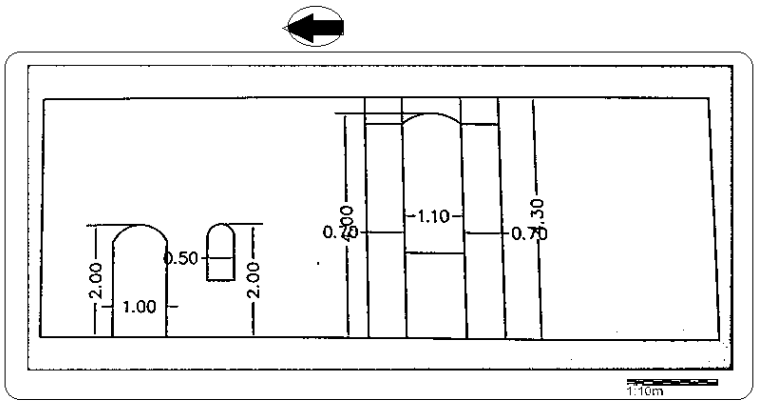

رسم (٢) الغرف والحجرات الابراج والنوافذ والابواب قلعة كركوك

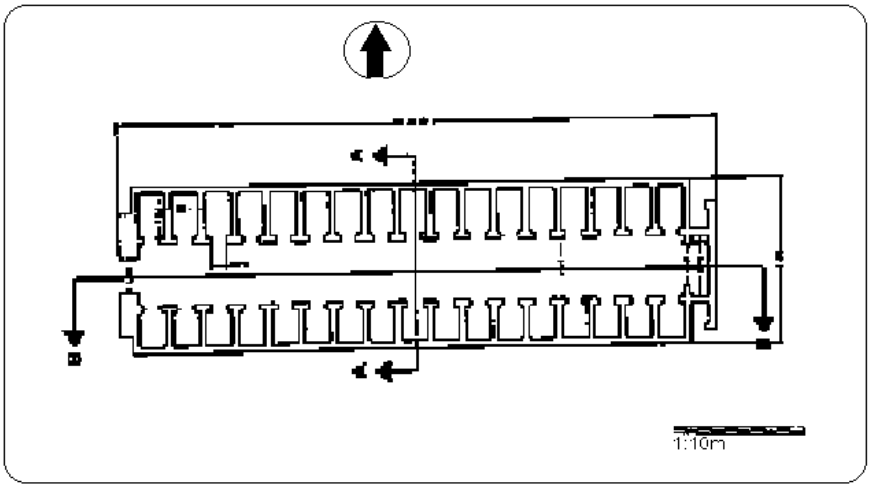

رسم (٣) تخطيط قيسارية قلعة كركوك (قليجلير بازار)

اللوحة(١) بوابة قلعة كركوك

اللوحة(٢) الابراج والمساند قلعة كركوك

اللوحة(٣) الحجرات الدفاعية والاسوار لقلعة كركوك